

نفحات القرآن

[171] إنَّ كَثْرَةَ وَوَفْرَةَ آيَاتِ اللَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَاوَاتِ، وَجَمَالَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، دَفَعَهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَالْأَحَادِيثَ إِلَى دَعْوَةِ النَّاسِ بِاسْرِهِمْ وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ الْمَزِيدِ مِنَ الْإِيمَانِ، فَيَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي الْآيَةِ 6 مِنْ سُورَةِ ق: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَدَأْنَا هَاجِلًا وَأَنْزَلْنَا السَّمَاءَ سَاجِدًا وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ)؟! وقد أَمَرَتِ الرَّوَايَاتُ "المستيقظين في الاسحار" خاصة، أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ أَوَّلًا حِينَ يَنْهَضُونَ "لصلاة الليل"، وَأَنْ يَقْرَأُوا الْآيَاتِ الْآخِرَةَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الَّتِي تَنْعَكِسُ فِيهَا جَمِيعُ هَذِهِ الْحَقَائِقِ بِنَحْوِ عِرْفَانِيٍّ: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .) ثُمَّ يَتَوَجَّهُونَ نَحْوَ الْعِبَادَةِ (حَيْثُ يَمْتَلِيءُ الدُّعَاءُ بِعَطْرِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ اللَّهِ) (1). وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حِينَ كَانَ يَنْهَضُ إِلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ يَبْتَدَأُ بِالسَّمَاوَاتِ ثُمَّ يَلْقَى نَظْرَةً عَلَى السَّمَاءِ، وَيُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَاتِ (2). وَوَرَدَ فِي صِفَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَيْضًا عَنْ أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَيَدْعَى (حَبَّةَ الْعُرْنِيِّ) حَيْثُ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا وَنُوفٍ (أَحَدِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)) نَائِمِينَ فِي رَجْبَةِ الْقَصْرِ إِذْ نَحْنُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي بَقِيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ، وَاضْعَاءً يَدِيهِ عَلَى الْحَائِطِ شَبِيهِ الْوَالِدِ، وَهُوَ يَقُولُ: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَيَمُرُّ شَبِيهِ الطَّائِرِ عَقْلَهُ، فَقَالَ لِي: أَرَأَيْتَ أَنْتَ يَا حَبَّةُ أَمْ رَأَيْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَأَيْتُ هَذَا أَنْتَ تَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ فَكَيْفَ نَحْنُ؟ فَأَرَخَى عَيْنَيْهِ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا حَبَّةُ، إِنَّ مَوْقِفًا وَلَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ مَوْقِفًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِنَا، يَا حَبَّةُ إِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنَ الْوَالِدِ مِنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَا حَبَّةُ إِنَّهُ لَنْ يَحْجِبَنِي وَلَا يُبَايِعَنِي عَنْ شَيْءٍ . . ." (3).